مايو والاطفال

الدكتور
الزين عباس عماره

دار الثقافة
بيروت - لبنان

نشـــر وطبـــع
دار الثقـــــافـــة
بيـــروت ـ لبنـــان
١٩٧٠

إهـــداء

الـــى أطفالنا الصغـــار ...
اطفال مايو ... جيـــل البعث والهدايـــه
الجيل الذي ولد ، ويولد كل يوم تحت سمـــاء
سودان الثوره

في بـــراءة الطفولة تنفتح عيونهم ...
وفي نشوة الفـــرح تعانق نظراتهـــم ..
شموخ الوجوه المشرقه ...
كنور الحق يبدّل الشك يقينا
وضوء القمـــر يفيض حبـــا وحنينا
وصفاء المـــاء ينساب أمنـــا وطمأنينـــه
وحدّ السيف يقطر دماً وضغينـــه
وجـــه ثورة مايو الاشتراكيـــه
التي اعادت صياغة الحياة ... وكتابة التاريخ .

مقدمة

بقلم الاديب الكاتب هنري رياض

صدر للدكتور الزين عباس عمارة قبل هذا الديوان ديوانان هما (الضياء والحريق) و (مع رياح العودة) وكلاهما من الشعر الحديث .

ورغم أن ما انطوى عليه هذا الديوان من شعر حديث يتميز عن الشعر العربي التقليدي من ناحية العروض والتقفية والصياغة الاسلوبية والصور الشعرية الا ان شاعرنا استطاع ان يستخدم القوافي على صور شتى ، الامر الذي ساعده على ان يحتفظ لشعره بأوزان موسيقية عذبة ورنة محببة مما يدل على رسوخ التراث القديم في نفسه وضخامة حصيلة حفظه من روائع الشعر القديم فهو مرتبط في الاصل بالتراث ومرتبط في الفكر بالتجديد بالصورة التي لا تهز كيان القارىء الذي ترسبت في نفسه جذور الماضي حتى الاعماق فاصبح التحول المفاجىء من (القافية) الى

(اللاقافية) قفزة هائلة لم يتهيأ لها ذهنيا ولا نفسيا ، وعلى هذا فالشاعر في تخلصه البطيء من القديم يتحمل عبء هذه المسئولية في امانة لا تفتقر الى كل مقومات الابداع .

ولا تدل قصائد هذا الديوان على ان الشاعر يمتلك الاداة الفنية فحسب بل على ثقافة اشتراكية مستنيرة ايضا .

ولذلك يحس القارىء للديوان لاول وهلة بانه يتحرك ويدور في اطر ايديولوجية معينة وان لصاحب الديوان موقفا تقدميا معينا تجاه الناس والحياة .

وعلى هذا لا يعبر الزين عماره عن احاسيسه ووجدانه بصورة انفعالية مطلقة ، بل يمتزج تعبيره عن انفعاله وتجاربه الشخصية بفكره التقدمي وثقافته الواسعة ونظرته الانسانية الشمولية امتزاجا دقيقا عميقا ، الى الحد الذي يجعل من شعره اداة للتعبير عن النظرات والآراء والانفعالات التقدمية لجماهير شعبنا المناضل .. الحقيقة التي تطغى على كل حقيقة سواها بدءا من (الضياء والحريق) عبورا (مع رياح العودة) وصولا الى (مايو والاطفال) .

وينطبق هذا الحكم على اكثر قصائد هذا الديوان فأفضل ما يتمثل ذلك بروزا في قصائده (مايو والاطفال) و (صور خارج الزنزانة) و (رسالة الى الشهيد) .

ولا يقف الشاعر بوصفه مثقفا اشتراكيا تقدميا على حدود بلاده وحدها ، بل انه يستشرف بثقافته الواسعة آفاق العالم الكبير ويحمل في صدره هموم عصره مثلما يحمل هموم السودان باسره .

ففي قصيدة (مايو والاطفال) يهلل الشاعر فرحا بمولد ثورة مايو فرحا طبيعيا صادقا من اعماق قلبه مؤملا ان يعود الخير والمجد (للاطفال ازهار الحياة المورقة) ناعيا على الجيل القديم ــ والشاعر منهم وفق زعمه ــ انانيته وحبه لذاته وعدم بذله وعطائه الا « بمقابل او ثمن » وانغماسه في ملذاته وشهواته وتطلعاته الشخصية . انها المقابل الموضوعي لمسئولية الشاعر تجاه تعرية مواقف جيله في امانة متجردة من الغرض وبضمير مثقل بجراحات العصر .

ولكن الشاعر استشعر بعد ان أمعن في السخرية من ابناء جيله ومن المتسلقين والمنافقين أنصار الرجعية والطائفية ان عليه ان يخضع انفعالاته للتفكير العلمي ،

وان يضع النقاط فوق الحروف كمفكر ومثقف تقدمي، ولذلك انطوت القصيدة على مدح وتمجيد لاولئك الذين ناضلوا عشرات السنين في سبيل نصرة المبادىء الاشتراكية والقيم الاخلاقية وما زالوا يناضلون من اجلها ، وما أروع ختام قصيدته اذ يقول :

مايو توكأ في المسير على جراح الثائرين
واشدد اكفك في النضال على اكف المخلصين
قبضوا على جمر القضية منذ عشرات السنين
لم يقبضوا ثمن الهتاف ولا أجور الناخبين

ولعل مما يدل ايضا على ان شاعرنا صادق في ايمانه بكفاح ابناء هذا الجيل ، مقدر لتضحيات كثير من المثقفين والعاملين الذين كافحوا طويلا بطش الاستعمار ولم تلن قناتهم رغم ما لاقوا من تشريد وحرمان وجوع . تقديره وتقييمه لثورة مايو الاشتراكيةتقييما يمتزج فيه الفكر بالانفعال امتزاجا رائعا سليما .

استمع اليه حين يقول في قصيدته (صور خارج الزنزانة) :

في العيد الاول اسألكم : جيل الشعراء
اسألكم يا جيل الحرف المورق كلمات خضراء
قد غسلت عار الارض البكـر
فعادت مورقة عذراء
اتكىء على كلمات القـائد
اسند رأسي فوق صحائفه البيضاء
انشدكم شعرا مطلعه : مايو قد جاء
حبـا وعطاء ...
قوتـا وكساء ...
خصبا ونمـاء ...
ارضـا خضراء
نبعا يتدفق منه المـاء .

اما في رائعته (رسالة الى الشهيد) ، فقد استطاع الشاعر التعبير عن التفاؤل والامل والتطلع الى حيـاة افضل باسلوب شاعري مثير ، رغم انه عاش في دوامة المأساة الدامية بقلبه واعصابه وبكل جارحة فيه حزنـا

على شهيد الوطن المقدم محمد الحسن محمد عثمان ، بل حزنا في واقع الامر على شهداء فتنة مارس ١٩٧٠ سواء اكانوا من رجال الجيش او البوليس او الضحايا الابرياء من البسطاء المواطنين ، ولذلك فان الشاعر قد تصدى لموقف الطائفية ناقدا وساخرا من مآسيها عبر التاريخ بل متمردا وثائرا عليها ، واعيا لدورها الرجعي في الحفاظ على تخلف بلادنا وربطها بفلك الاستعمار القديم والحديث على السواء ... مشيدا بالشهداء ، داعيا الى تغيير وجه حياتنا تغييرا جذريا ، ليس لصالح (عثمان) الصغير ابن الشهيد الصديق بل لصالح جميع الناس في السودان وفي غيره من البلدان .

لن انسى يوما جئت تحدثني فرحان
عن ان الثورة سوف تغير وجه العالم والسودان
فعزاء الثورة في ابنائك في «عثمان»
ابن السنتين... الوجه الضاحك رغم المأتم والاحزان
لم يعرف بعد سوى اثنين .. سوى وجهين من السودان

الاول راح مع الشهداء
وضاع الثاني في الاحزان
لن نقرن ذكرك بالنسيـــان
وسنحمل اسمك في (عثمان)
تذكارا يبقى للتاريخ ووجها آخر في الميدان .

وفضلا عن ذلك يضم هذا الديوان قصائد وجدانية صرفة مثل (صباح الخير مولاتي) ويا (جارة) و (رفقا بالقوارير) ويبدو لي ان الشاعر يحاول فيها ان يغضفض عن نفسه او يبوح بمكنون سره ولكنه لا يبلغ في نظري مستوى الابداع في قصائده الاجتماعية والوطنية .

لقد نشر الدكتور الزين عمارة ثلاثة دواوين شعر منذ بداية ١٩٥٧ اي خلال ثلاثة عشر عاما تقريبا وهي تكاد تمثل مرحلة واحدة من تطور شعره رغم ان بعض قصائده قد انشدت اثناء دراسته ورغم التفاوت النسبي الطبيعي بين بعض القصائد خلال هذه الفترة شكلا ومضمونا .

ويمثل ديوان (مايو والاطفال) امتدادا طبيعيا ـ فكرا واسلوبا ـ لهذه الرابطة الوثيقة في الشكل والمضمون في الاداة ونوعية التناول لقضايا العصر ،واذا صدق ظني فان ديوانه الاول (الضياء والحريق)والذي لم يجد حفاوة المنتديات الادبية التي وجدها ديوانه الثاني (مع رياح العودة) لا يقل روعة ودلالة اجتماعية وسياسية .. فقد كان (الضياء والحريق) ـ في نظري ـ حريقا هائلا شب في كل مؤسسات الحكم الرجعي وكان اداة فعالة من ادوات النضال السياسي واحد أسلحة المقاومة الشعبية في ظل الحكم العسكري داخل وخارج الجامعة .. ولكنه ظهر في ظروف انطفأت فيها جذوة ثورة اكتوبر وماتت روح المقاومة وقويت شوكة الرجعية فصبت ماء باردا على فكرة تشتعل وكان نصيب (الضياء والحريق) من التجاهل الحاقد والاهمال المتعمد لا يقل مرارة عن نصيب الشاعر من التجاهل والعقوق ... وظهر ديوانه الثاني (مع رياح العودة) في ظروف مغايرة وبيئة مختلفة .. في ظل الثورة .. وبيئة الحياة الاشتراكية المتفتحة لكل جديد وتقدمي فوجد من الحفاوة والتقدير ما خفف وطأة الجرح على ضمير الشاعر فكان ديوانه الثالث تعبيرا عن

الفرح الطفولي .. بعودة الحياة .. بعودة الربيع .. بميـــلاد الثورة .

وانا لنرجو على يديه وزملائه من الشعراء الشرفاء المناضلين مزيدا من وقود الشعر الذي يدعو للتطـور والامل والفرح والعمل في ظل الاشتراكية التي ارست قواعدها في بلادنا ثورة مايو الاشتراكية الظافرة .

هنري رياض
المحامي

رسالة إلى شهيد

١ ـ دعاء

يا رب السذج والبسطاء
نحن الثوار وقود الثورة في الأحياء
هل أنت قريب تقبل منا كل دعاء
أم انت بعيد ـ حقا ـ عنا
تطلب منا دفع الجزية للوسطاء
نحن كفرنا بالوكلاء
قد ضقنا ذرعا بالزعماء

---

١ ـ الشهيد : المقدم محمد الحسن محمد عثمان الذي استشهد في فتنة مارس في ام درمان وترك طفلين اكبرهما في الثانية من عمره .

ورفضنا حكم القرن الماضي ، حكم الورثة والخلفاء
نحن سحقنا أصنام عبادتنا البلهاء
اعذرنا ربي نحن كفرنا بالاسماء
كل الاسماء
الا أسماء الله الحسنى ، ذات العظمة والايحاء
اذ كنا عطشى .. قد حرمونا جرعة ماء
اذ كنا جوعى ... يمتلئون بغير حياء
اذ كنا موتى في الطرقات نسير عراة وسط عراء
ونموت دفاعا عن سادتنا ـ كبش فداء ..
ارحم موتانا جند الثورة والشرفاء
بارك مولانا غضب الثورة حين تصدّت للجلاد
من حمل المدفع باسم الدين أثار الفتنة والاحقاد
من قال الثورة جاءت تسعى للالحاد
من جمع الناس وأعلن : إن الموت جهاد
في عهد الثورة والأمجاد

قد غسلت عـار الحزب الفاجـر بالميـلاد
قد فتحت باب التوبة حتى كل طهر منا كل فساد
وانتصرت حقا حين تصدت للأسياد

٢ ـ الحقد المقدس :

ماذا تركوا غير الحقد .. وغير المأتم والاحزان
ماذا تركوا غير الحزن يخيم في كل السودان
ماذا تركوا غير الدمع النازل يجري في الاجفان
ماذا تركوا غير الجثث وغير القتلى في الميدان
ماذا حصدوا بعد الطعن وبعد القتل بروح القسوة والهيجان
ماذا تركوا غير يتامى في الطرقات ... وكل مكان
ماذا تركوا غير ثكالى تبكي الزوج وأهل الحـلة والإخوان

ماذا كسبوا غير الخيبة والخذلان
قد بزغ الفجر وريح الثورة كالطوفان
يكتسح الغابة مثل السيل وكالاعصار وكالبركان

٣ ـ الجنة والنار

لو أن الجنة والفردوس تباع هنالك بالأمتار
لو ان هنالك بين الله وبين رعيته سمسار
احد الوكلاء أو الخلفاء أو التجار
لارتفع السعر الى الاضعاف .. وتساوى الصامت والثرثار
واحتكم الناس الى الدولار
هل يترك نكسون أو جونسون في الجنة شبرا للثوار
أو ظلا فيها للاحرار
دعنا في النار .. دعنا في النار

الرحمة تغشى قبر الموتى في القوات وفي الانصار
من دفعوا قهراً نحو الموت وماتوا ظلما دون خيار
من سبحوا وهماً ضد الحكمة .. ضـد الثورة ..
والتيـار
(المهدي) كان سلام الله على عنزته والأخيار
سيفا للحق فدك حصون الاستعمار
لم يسكن قصرا .. كان يعيش حياة الراهب داخل
غـار
قد حمل الدعوة بين يديه مثل المصحف ليل نهار
قد نشر رسالته في الأرض وأعطى الراية للانصار
انصار الحق .. دعاة الوحدة .. لا للاشرار
لم يعط السيف ولا السكين ولا « الفرار »
لم يأمر رجلا يقتل رجلا قرب الجامع أو في الدار
لم يعط إشارته بالزحف بسوء النية والاصرار
لم يشعل حربا في التاريخ ولم يزهق روحا للثـار

صلوات الله عليه القائد .. رجل الحكمة والاقدار
وسليل المجد .. امام الآخرة المغوار

٤ ـ رسالة الى حسن

في قبـرك نـــم
يا حسن السيرة والتاريخ وصوت الثورة ملء الفم
يا أول بطل خر صريعا عطر ثورتنا بالدم
سطرت المجد على صفحات كتاب الثوره
وكتبت حروفا تنضح فيـه دماء ثـره
ودخلت ضريح الموت شهيد الارض الحره
يـا انسـان
قـد كنت صديقا للاطفال وللشبـان
قد كنت الرحمة للغربـاء وللجـيران
قد كنت بريقا في عينيّ وعدت ضبابا ودخـان
في لحظة ضعف .. انحدرت دمعات رفاقك كالطوفان

لما حملوك على الاكتاف وجاء النعش مع الفرسان
نـزل الجثمـان
جثمان الفارس يفدي الثورة والاوطـان
لن أنسى يوما جئت تحدثني فرحـان
عن ان الثورة سوف تغير وجه العالم والسودان
فعزاء الثورة في ابنائك في (عثمان)[٢]
ابن السنتين .. الوجه الضاحك رغم المأتم والاحزان
لم يعرف بعد سوى اثنـين .. سوى وجهـين من السودان
الأول راح مـع الشهـداء
وضـاع الثاني في الاحـزان
لن تقـرن ذكـرك بالنسيـان
وسنحمل اسمك في (عثمان)
تذكارا يبقى للتاريخ ووجها آخر في الميدان .

---

٢ ــ عثمان : الطفل الاكبر للفقيد وعمره سنتان .

مايو والأطفال
في عيد ميلاده الأول

مايو والاطفال :

مايو لكم .. دقوا له دفّ البشائر والطبول
مايو الربيع اتى لكم
احيا الموات من الذبول
مايو تفتح موسما للخصب في كل الفصول
احيا الورود ... سنابل القمح الطويل
رش البذور فأينعت واخضوضرت كل السهول
مايو لاعياد الطفولة ... للوجوه المشرقه
للطيبين الواعدين براءة ومعانقه
لا للكبار الميتين ذوي القلوب المغلقه
اخذوا من العهد القديم ضلاله وتمزقه

لـــن يدركوا روح الجديد ولن يجيدوا منطقه
فقدوا الأصالة والتطلع والثقـــه
فالمجد للاطفال أزهار الحيـــاة المورقـــه
يتطلعون لدفء شمس لم تكن متألقه
كانت سحابات الكآبة في السماء معلقه
والأرض من هول الجفاف شواظ نار محرقه

جيل الهزيمـــة :

نحن اهتـــرأنـــا ...
نحن صرنا جثة من هول ما فعل الزمن
نحن الذين تشعبت بهم الدروب مع الفتـــن
واستنزفت طاقاتهم حرب الضغائن والمحن
جيل تخدر من عبـــادات الوثـــن
جيل الهزيمة نحن، لا نعطي الحياة بلا مقابل او ثمن
فالمجد للاطفال صنـــاع الحضارة للوطـــن

نحن الذين نضيّع الانسان في نزواتنا
ونقول في صلواتنا
يا رب امنحنا رضا ساداتنا
ويضيع احلى عمرنا سعيا الى شهواتنا
جريا وراء ذواتنا
بالبحث عن لون الطلاء لرقم سياراتنا
عن ربطة العنق الأنيقة في ربيع حياتنا
والخمر والبيت الفسيح ونوع ثلاجاتنا
ونعود محمورين عند الفجر يفضحنا صدى خطواتنا
نتسلق السور الطويل نخاف من زوجاتنا
ونعود في نفس المساء الى هوى ليلاتنا
لنسجل العدد الاخير لرقم محبوباتنا

موكب النور :

شاهدت هرولة العرائس فرحة بلقائه

خرجت تعانق ركبه الماضي ... الى عليائـه
زغرودة قد لونت بالعطـر أفق سمائـه
طارت بأجنحة الحمام تطوف في أجوائـه
شوقا الى وجه الرئيس بصدقـه ونقائـه
من طوّع القدر العنيد ولفـه بردائـه
من جاء يمشي ثابت الخطوات نحو قضائـه
في ثورة من صنعه ... من عرقه ... ودمائه
أهلا به ... بنضاله ... فالمجد بعض عطائـه
وانا الذي واددته وشربت نخب وفائـه
ولمست قوة عزمـه وشهدت حسن بلائـه
في قوله .. في فعله .. في الذود عن آرائـه
في نشر كل فضيلة غابـت على زملائـه
وانا الذي لم يحن هامته لدى رؤسائـه
قد شد في كل السنين على زناد إبائه
قد كان في كل العهود ... مجاهرا بعدائـه

متمردا بالشعر يسخر من هوى زعمائه
إني اطأطىء هامتي سمعا لصوت ندائه
من كل صوب جاء بالبشرى الى ابنائه
مايو لنا .. لصغارنا .. نشدو بحلو غنائه
ونموت في ساحاته شهداء حب بقائه

عيد الميلاد :

أطفالنا لكم الغد ...
انتم بناة المجد ...
جيل البعث في مايو يثور ويصمد
من اجل مايو .. حيث أجيال البطولة تولد
في عيد مايو .. حيث تحتفل البلاد وتسعد
عيد الطفولة والامومة والصبا
فرح المدائن والقرى
شربت ينابيع الضياء غلالة تتوقد

جاراتنا سرب العذارى في الطريق يزغرد
يتهدل الشعر الطويل جدائلا تتأوّد
فرح اللقاء بضوء مايو شعلة تتوقد
« عقبال مائة شمعـــة »
والنار في وجـــدانه لا تخمـــد .

المتسلقـــون :

مايو أخاف عليك من تطويقة المتسلقين
نفذوا الـــى كل المواقع خلسة متآمرين
كالحية الرقطاء تسعى بالسموم ولا تبين
يتلونـــون ...
بطبيعة الأرض التي ظلوا عليها واقفين
كانوا العشية يمرحون مع الطغاة المفسدين
يتناقشون ... يخططون ... ويرسمون
وتواعدوا عند الرواح على اللقاء مبكرين

والجيش يزحف بالمدينة في صمود الفاتحين
كالحلم في الليل الطويل يغض نـــوم الخائفين
قد طوق القصر الكبير وحقق النصر المبين
فاذا بهم عنـــد الصباح مع ركاب الثائرين
جاءوا اليه مهللين ... مكبريـــن
يتسابقون ... يرددون ويهتفـــون :
« لا عاشت الاحزاب والمتحزبون »
اكتوبر الرجل الذي قتلوه معصوب العيون
نصبوا الكمين امامه فانهار في قاع الكمين
فتجمعوا من حوله ... مستهزئين وشامتين
فاذا الذين تسلقوا قمم المناصب صاعدين
قد اصبحوا في لحظة اعتى فلول المجرمين
يتآمرون على تراب ووحدة البلد الامين
إني اكاد أرى سمات وجوههم متشابهين
اكلوا على كل الموائد بالشمال وباليمين

مايو توكأ في المسير على جراح الثائرين
واشدد اكفك في النضال على اكف المخلصين
قبضوا على جمر القضية ... منذ عشرات السنين
لم يقبضوا ثمن الهتاف ولا أجور الناخبين .

صباح الخير مولاتي

صباح الخير مولاتي
وعفوا يا حبيباتي
اقول لكن يا اغلى صديقاتي
وجدت حبيبتي ليلى .. معذبتي ومولاتي
اضاءت كل ليلاتي
فعفوا يا حبيباتي
فقلبي لم يعد يقوى على حمل الجراحات
نزيف الجرح في كبدي عميق عمق آهاتي
صباح الخير مولاتي
أميرة عصرنا المخمور من عطر الأميرات
فمنذ فراقنا بالأمس اعواما طويلات
أنقب في وجوه الناس ابحث عنك يا ذاتي

فلم تنفع رجـاءاتي
ولـم تثمـر نداءاتي
وتاهت في ضباب البعد أشعاري وأبياتـي
وشاء اللـه يـا قدرى ...
يصـدق لي نبوآتـي
وفي يوم مـن الأيام
في حلـم مـن الاحلام
كان هناك ... منسَّى المسافات
تلاقينـا بـلا وعـد
بلا حرف انيـق مـن رسالاتـي
تلاقينـا كأن الحلم يخرج من وسـاداتي
لقاء عاصف الاشواق لا كل اللقاءات
كأن الشامة الزرقاء مـن تحت العوينات
معلقة كحبّ الكرز في ضوء النجيمات
مطرزة على الخدين وشماً فوق مرآة

صباح الخير مولاتـــي
أنا المهزوم يا ليلى بحبك كل أوقاتي
أنام على لظى جمر يؤجج نار أناتـــي
فلـــن تجدي مؤاساتي
ولن تطفىء نار الوجد آلاف الرسالات
سوى وعد يعيد الروح تسري فيه خفقاتـــي
فتبرأ لـــي جراحـــاتي
أعينينـــي
لكي انسى وتنسينـــي
زمانا كنت ملهمتي ... وسيدة الملايـــين
فراقـــك ان تبيعينـــي
فاين الشعر يا ليـــلاي عصفور البساتين
وكنت رقيقة الاشعار رائعة الموازين
تركت الحب يا ليلى .. وقد هدأت بـــراكينـــي
حـــرام ان تعدينـــي

انا كالطفل يا ليلى حذار ان تثيريني
اذا حركت اشيائي فحسبك ان تظنيني
طليقا جاء من قيد المجانين
أمزق كل أوردتي وأعصابي بسكيني
وهدهدة بدفء الصدر تفرحني وتبكيني
وكلمات مسوسقة على شفتيك ترضيني
ووعد منك يقتلني ويحييني
صباح الخير سيدة الملايين
فعطر الشامة الزرقاء ينبح في شراييني
وبسمة ثغرك الذهبي مدفأتي وغلّيوني
انا من غير ليلاي ... فقير بالملايين
صباح الخير مولاتي
قديما قيل لي : حواء قد خلقت من الطين
وحين بلغت عشريني
ويوم بدأت في نبش المواعين

افتتَ هالة الأصداف من حين الى حـين
وحين عرفت في ليلى خفايا كل مكنـون
وجدت نسيجها ـ في الاصل ـ من ورق الرياحين
ومن فل وياسمـين
صباح الخـير مولاتـي
وعفوا يـا حبيباتـي .

أغنية من الخرطوم

من جبهة الثوار في الخرطوم اكتب أغنيات
ممزوجة الكلمات بالطلقات بالدم مترعات
لهب المعارك صاغها شعرا واحلى ذكريات
للشعب .. للنصر المؤزر بالفدا والتضحيات
وطليعة الشهداء عائدة تردد في ثبات
افديك يا قرشى الشهيد
قد عدت في مايو الجديد
حيا تلوّح من بعيد
أفديك عملاقا يخط معالم العهد الجديد
أفديك ملحمة تخلد ثورة البعث المجيد
اليوم أصبح شعبنا العملاق مرفوع البنود
اليوم أصبح للبلاد مواسم كبرى وعيد

عيد التحرر والنضال
عيد النساء الثائرات مع الرجال
عيـــد التضامن والمحبة والنضال
افديك يـــا قرشى الشهيد
افديك يـــا شعبي المجيـــد
يـــا قـــائد الزحف العنيد
لم تنهزم يومـــا ... وكنت مظفـــرا
متماسكا .. متلاحما .. متآزرا
وسكبت في ساح النضال دم الطليعة أبحرا
تمشي خطاك الى الامام ويرجعون الى الورا
افديك يـــا قرشى الشهيد
قد عدت في مايو الجديد
حيـــا تلوّح مـــن بعيد

يا جـــارَه

يـــا جـــاره
يـــا قصة حبي وحيـــاتي
يـــا أحلى وجه في الحاره
يـــا أغلى رســـم وعباره
يـــا باقة زهر حالمة في سلة ورد معطاره
يـــا حقل الكرم برابية ... يا حلو ثمار البياره
في أحلى أمسية خطـــاره
في أول وعـــد وزياره
مزقت شراييني دربا لخطاك الحلوة .. يا جاره
ولكم أومأت بضحكاتـــي
وبعثت اليـــك تحياتي
وحرقت رسائل نظراتـــي

في حفلة عرس بالحاره
في حـذر أبعث بسماتـي
تتصاعد شوقا آهـاتي
ايمـاء منـي واشاره
واتكأ الليل على وجه يتلألأ ضوءا ومنـاره
عطرت الحفل برائحـة شدت أعصابي المنهاره
نظراتك شلال حنان .. يتدفق يروي نواره
يتفتح وردا مخضلا بالساحة ينثر أزهـاره
الليل توسد أنجمه وتوغل في قلب مغـاره
موسيقى جـاز صاخبة
قد شد العازف اوتاره
صخب الاصوات يصدعـني
وصدى الآلات الثرثاره
وانفض السامر .. ودعنا .. وبقينا نذكر سماره
لم يبق سوى نجم مفقود راح يلملم اسحاره

وبقيت هنالك واقفـــة ..
يـــا احلى وجـــه ونضاره
نظراتك جزلى تعصرني دمعات لقاء مدراره
والرمش الاسود يأكلني .. يدعوني أكسر اسواره
يجثو في مدخل صومعتي قديس جمال وطهـــاره
في خجل تبدأ راقصة تشتعل مدينتنا نارا
تتمنع .. تأبى ... تتأنى.. نحترق كأعقاب سيجاره
ما بين انامل سيدتي .. سيدة الحفل الاماره
والشعر الراقص منسدل في الوجه ظلالا وستاره
يـــا احلى ثغر مكتنز
ينسكب حليبا وعصاره
وشفاها ظمأى تتدلى قارورة خمر معطاره
المد الصاعد يجرفني ... والجزر يعيد قواي المنهاره
واللحن يوقع خطوتها ... تبكي أوتار القيثارة .

صور خارج الزنزانة

أستأذنكم بدء القول ..
انا شدكم حســـن الاصغاء
الآن .. أقول لكم كلمات لم تعرف زيف الانباء
لم تشرخ شفة المهزوم امام غرائزه الحمقاء
كلمات الثورة حين تقال تشد العالم للاصغاء
في صمت تدخل قلب الشارع دون ضجيج او ضوضاء
كلمات القائد تصنع فرحى .. تطربني وقعا ونداء
أتمايل طربا ... أهتز شموخـا وولاء
أصوات الغضب .. هدير الآلات الصماء
في العيد الاول أسألكم .. جيل الشعراء
يا جيل الحرف المورق كلمات خضراء
قد غسلت عار الارض البكر

فعادت مورقة عذراء

اتكي على كلمات القائد أسند رأسي فوق صحائفه البيضـــاء

انشدكم شعرا مطلعه : مايو قد جاء

حبـا وعطاء ... قـوتا وكســاء ...

خصبا ونمـاء ... ارضـا خضراء ...

نبعا يتدفق منـه الماء

طفلا قد لف عمامته بالعلم الزاهي بالألوان[1]

وفتاة تحمل شارة جند الحرس الوطني[2] بالميدان

---

١ ــ علم جمهورية السودان الديمقراطية الجديـد ذو الالوان الثلاثة والمثلث الاخضر

٢ ــ الحرس الوطني أحد ركائز القـوات المسلحـة للدفاع الشعبي والتي انشأتهـا ثـورة مايـو الديمقراطية واشتركت فيها المرأة تأكيدا لدورها في الدفاع عن وحدة التراب والمصير .

(صقر الجديان)[٣]
سيدة حبلى .. أم جنين ينبض حبا للأوطان
ميلاد الفرح الضاحك غضبا للاحزان
من يحمل رمز الثورة حيا في الوجدان
من اعطى المرأة .. حق عبور .. سياج العزلة والحرمان[٤]
قد صعدت من سفح الجبل الى اعلى قمم الانسان
شيخ يتساءل : ماذا يحدث في السودان ؟

---

٣ ـ صقر الجديان : الرمز الجديد لجمهورية السودان الديمقراطية والذي اختير بدل (الخرتيت) الشعار القديم ـ راجع قصيدة (ايار والعودة) في ديوان (مع رياح العودة) للشاعر والذي سخر فيه من شعار الخرتيت المشهود له بالحماقة وضيق الصدر .
٤ ـ راجع الحقوق الاساسية التي اعطتها ثورة مايو للمرأة في خطاب الرئيس في العيد الاول للثورة .

« قد كان زمان ... يا ويل زمان »
لم نشهد نحن عطاء الثورة ... في السودان
لم ننعم نحن بدفء الثورة يجري فينا كالشريان
انشدكم شعرا مطلعه : مايو قد عاد
في العيد الاول للميلاد(٥)
عدنا في ساح العرض الاول للأعياد
في شط النيل الخالد بالثورات وبالامجاد
كنا غرباء
في العيد الاول عدنا شعبا كان حبيسا في صحراء
سجنوه سنينا كي يستسلم للاعداء
اقتلعوا قرص الشمس .. وحبسوا من زنزانته الاضواء
في لحظة غضب ... وانفجرت قوات الشعب بلا انذار

---

٥ ــ العيد الاول لثورة مايو الديمقراطية يوم ٢٥ مايو ١٩٧٠ .

في ساعة صفر واعدة بمخاض الثورة والثوار
ألسنة الغضب تعالت لهبا كالاعصار
كسعير النار
ثار السجناء
في حين سمعت القائد يتلو قسم الثورة للشرفاء
اندلق الفرح دموعا سالت دون بكاء
امتلأ الشارع ... سقط الناس من الاعياء
شوقا وحنين
قد حوكم شعبي (خمس) سنين[٦]
قد صدر الحكم غيابيا
لم يمثل شعبي في محكمة الجلادين
في بدء الجلسة لم يحضر غير الوسطاء المأجورين
« من دق الجرس .. وباع الذمم .. وحط العلم[٧]

---

٦ ــ السنوات التي اعقبت اجهاض ثورة اكتوبر الشعبية.
٧ ــ الرمز الى الجمعية التأسيسية .

وساق الناس الى اسواق النخاسين »
لم يسمع انات صدور المحرومين
قد كان يخاف هدير الشعب.. يخاف، هتاف المظلومين
في فجر الخامس والعشرين
والثورة ضوء تحت الليل ونبض جنين
اقتاد الجيش فلول الخونة والجبناء
دخلوا الزنزانة .. دون ضجيج او ضوضاء
نفس الزنزانة .. دون مراوح او أضواء
نفس الزنزانة ... ذات القضبان السوداء
قد صدر الحكم غيابيـا .
ممهورا باسم رجال الثورة والشرفاء .

رفقا بالقواريـر

يقـول الناس : رفقـا بالقواريـر
ذوات الحسـن مـن حس وتعبير
نبـات اللـه أنبـت في شجيرته
ثمـارا ذات مكنـون ومنشـور
وسماهـا لنـا حواء .. بـاركها
بكـل قداسـة الهالات والنـور
وأطلقهـا ... مـلائكة مجنحـة
وقـال لهـا : على آفاقنا طـيري
يقول النـاس : رفقـا بالقوارير
اقول لهم : تخـدر كـل تفكيري
اذا مـا جئت مشتاقا الـى ليلـى
تعللنـي بـآلاف المعـاذيـر

وتصلبني على ميعاد راهبة
تعيش أسيرة المحراب والدير
كسرت القيد من كفي ومن قدمي
وجئت معانقا أحلى مشاويري
كطفل طار مشدودا لوالده
فكشر فيه منقبض الاسارير
أرى عينيك في خجل تغازلني
تنادني بوشوشة العصافير
بهمس ذاب في أذني أغنية
يوقع لحنها شجن المزامير

أنشودة للشهيد

يا رياح البعث في ارض المعاد
مرحبا بالموت أهلا بالجهاد
يوم ودعنا الى الخلد «رياض»[1]

يا صباحا أشرقت فيه البشائر
أيقظت في شعبنا مليون ثائر
فاحتضنا جرحنا في الصدر غائر
مرحبا يا حزن وحدت المشاعر
يوم ودعنا الى الخلد « رياض »

---

١ ــ الفريق اول عبد المنعم رياض رئيس هيئة اركان حرب القوات العربية .

مـن لهيب النـار في عرض القنال
من دم الشهداء في سـاح النضال
من هنا .. يا «فتح» مفتاح القتال[٢]
اسمك المحفور في قلـب الرجـال
ثورة في الحـق لم تعـرف محال
تصنع التاريـخ في كـل مجـال
يوم ودعنا الى الخلـد « رياض »

يا شهيد الحـق في الأرض السليبه
روّع الاهرام مـن هـول المصيبه
قد صنعنا بـك رايـات خصيبـه
تملأ الآفـاق ... أنغامـا حبيبـه
فجرت في الشعب طاقات رهيبـه
في سبيل الموت مـن أجل العروبه
يوم ودعنا الى الخلـد « رياض »

٢ ــ فتح : منظمة فتح الفدائيةفي الارض المحتلةبفلسطين

أشواق ... الثغر

تشدني للثغر[1] روعة المدينة المنسقه
تشوقني الحدائق الغناء والشوارع المنمقه
ومرفأ البواخر المسافره
تطل قلعة عملاقة وشاهقه
في ليلة صاخبة ومرهقه
تشدني للثغر غربة محببه
ولمحة من الطفولة المعذبه
اعود ربع قرن بعد رحلة طويلة ومتعبه[2]
اعود للحديث بالكلمات ذات اللهجة المستغربه

---

١ ــ الثغر : مدينة (بورتسودان) وهي الترجمة الانكليزية (لميناء السودان) وتقع على البحر الاحمر
٢ ــ عاش الشاعر جزءا من طفولته في مدينة الثغر

ونكهة الملاءة المنقوشة المذهبه[٣]
وروعة الانامل الجميلة المخضبه
ونفحة (الشاكوين) في الرؤوس كالهراوة المدببه[٤]
يا زهرة الميناء والزوارق الموشحه
بحلة الالوان مثل وردة مفتحه
فراشة طليقة مجنحة
تضوع بالطيوب .. بالندى .. تموج فتنة ورائحه
تضمخ الأحياء
في الصبح والمساء
في البحر .. والطرقات .. والميناء

---

٣ ـ الملاءة المنقوشة المذهبة .. نوع من الثياب كالساري الهندي مشهور في الشرق ترتديه نساء قبائل الهرندوة

٤ ـ الشاكوين : نوع من الطيوب المستحضرة من بعض الاخشاب والعطور يستعمله فتيان وفتيات البجا وله نكهة خاصة به

يفوح عطر الشرق ... فوق القبة الخضراء
يعطر الامواج في (فلامنجو) والشواطىء الزرقاء[٥]
اكاد اقبض الشعاع
أمسك الأمواج في يدي هدارة وساكنه
في الشط ... تحت القاع .. والحدائق الملونه[٦]
جزائر المرجان والأصداف .. والحجارة المستوطنه
يا حدة الشعور بالنزوح والمواطنه
يا عودة الغريب ضم داره ومسكنه
في كل مصنع وكل مدخنه

---

٥ ــ احد مواقع الشواطىء الجميلة على البحر الاحمر يستعمله الاهالي كمصيف أو بلاج يقضون فيه رحلاتهم واوقات فراغهم

٦ ــ (المارين قاردن) جزر في قاع البحر من الاصداف والحجارة والسمك الملونة يستعمل كأحد معالم السياحة في البحر الاحمر يزوره السياح بيخت صغير ويقع قرب الميناء

أعود للقباب والحظائر المحصنه[٧]
في كل بذلة سوداء داكنه[٨]
في كل غيمة من الدخان بالفضا مسافره
في (الديم) (والصنادق) المهاجره[٩]
اعود للطفولة المبكره
وعندما أطل نحو البحر في المساء
استنشق الهواء

---

٧ ـ القباب والحظائر المحصنة : ترمز الى بيوتات السكة الحديد حيث يحيط بها سلك شائك يدور حول المنطقة السكنية حيث عاش الشاعر فجر طفولته في تلك المنطقة

٨ ـ ترمز الى ملابس عمال السكة الحديد في الورش والميناء

٩ ـ الديم : هو الحي او مجموعة سكنية والجمع (ديوم)أي احياء والصنادق هي منازل الخشب المشهورة في شرقي السودان .. وهي جمع (صندقة) أي منزل من الخشب مرتفع قليلا عن سطح الأرض

أطل من مشارف المدينة الفيحاء
مظلة للريح ... والنجوم والأضواء
تتلألأ القصور كالمحارة البيضاء
أحس ان عالما في ناظري يذوب
وعندما يلفني الغروب
ويغمر الفضاء البعيد ضوء (سنجانيب)
تسافر الأمواج والزوارق
تنساب مثل شمعة منيره
كالماسه المشعة المثيره
توهجت في صدر طفلة أميره
تهزني الاضواء بالميناء
وروعة المدينة الغناء
وعودة المساء

---

١٠ ـ سنجانيب : فنار ضخم في وسط البحر يستعمل لارشاد السفن للدخول للميناء

تشع بالضياء حلوة ومشرقه
وتستحيل في الغروب نجفة معلقه
تكسرت على جدار موجة مراهقه
احس بالحنين ... باللقاء ... بالمعانقه
فراشة تطير في مواقد النجف
قلائد الجمان والخزف
يا مرفأ البللور يا روائع التحف
يا ثغرنا الجميل ... يا موائد الترف
يجتاحني الاسى والحزن والاسف
لانني رحلت قبل موعد الرحيل
لانني هجرت مقعدي في الشاطىء الجميل
في ساعة الغروب في نداوة الأصيل

المِـذياع

يا صاحبي المذياع
يا رحلة الاوهام والضياع
يا طبلنا المثقوب بالنفاق والخداع
يا بوقنا المنتفخ الاشداق بالاوجاع
تسمر المؤشر القديم في مكانه ... وضاع
لانني هجرت رؤية الموجات في الأثير والاشعاع
يممت وجهك القبيح للجدار
وصوتك الرتيب كالصرصار
الليل والنهار
يا نوبة تدق دونما انقطاع
تشج بالضجيج فروة الدماغ
تميت لذة الجلوس والسماع

تناشد النواب لاجتماع
تحطم الأعصاب في الظهيره
تعدد المناقب الكثيره
عن عودة الرئيس .. والمواكب الكبيره
عن رحلة الامام للجزيره
عن جلسة الجمعية[1] الأخيره
وعدد الاصوات .. والجماعة الصغيره[2]
ورغبة الكبار في الوصول بالمسيره
لغاية الغايات ... للدستور ... للرئاسه[3]
باكبر الأثمان في الاسواق والنخاسه

---

١ ــ الجمعية : الجمعية التأسيسية المنحلة .
٢ ــ نواب دوائر الخريجين والذين طردوا من الجمعية التأسيسية بعد المهزلة المحزنة .
٣ ــ كانت قضية الدستور اسلامي او علماني ورئاسة الجمهورية اكبر عملية سمسرة في تاريخ البلاد السياسي وكانت من أميز فترات التيه والضياع الفكري .

وترصد الارقام ... حيث الربح والخساره
وتصرخ الحناجر المأجورة الثرثاره
فتطلق الشراره
تحرك المضللين بالنداء بالاشاره
تدفقوا في ساحة المدينه
مواكبا ... جيوشهم جراره
ليسقطوا الوزاره[٤]
يا صاحبي المذياع
يا بوقنا المصدور .. يا محطم الاضلاع
تسمر المؤشر القديم في مكانه .. وضاع
وفجأة .. وفي الصباح
يا كلبنا المسعور بالنباح
سمعت صوتك القديم نغمة تنداح

---

٤ ــ كانت الرجعيــة تعتمد عــلى جمــاهير البسطاء المستوردين من الريف السوداني في القيام بارهاب الفئات السياسية الاخرى لاسقاط الحكومات .

تبلل الوجوه بالندى ... وتترك الصياح
تردد النشيد والغناء والافراح
« محطة ام درمان »
وبدأ المذيع قائلا « ترقبوا بيان »
وانحبست انفاسنا في الحلق واللسان
تغيرت ملامح الأشياء والمكان
وخفت ان يكون انقلاب
يغير الوجوه .. والرؤوس والأذناب
يبدل الأدوار .. والقناع ... والثياب
ويوصد الاسوار والابواب
ويطلق الجرذان .. والصرصار .. والذباب
وجاءنا البيان
يختصر الطريق ألف عام
كغيمة قد أفلتت من هالة السحاب
كالضوء في ساحاتنا الخراب

كواحة في أرضنا اليباب
ليهدم القديم ... والعتيق ..
ينتشل الانسان من دوامة السراب
يا صاحبي المذياع
تحرك المؤشر القديم من زاوية الضياع
اكاد لا أصدق النبأ
كأنني لم أسمع النبـــأ
كأنني لا اعرف الصواب والخطأ
كأن ميتا من القبور قام وأتكأ
على ذراع نجمة مذهبه
وعاد فارس الاحلام في جواد مركبه
تحركت على صدورنا منهوكة ومتعبه
على أكفنا ، على اليد الجريحة المعذبه
يا صاحبي المذياع
قد عدت بعد رحلة الأوهام والضياع

يا صاحبي الذي كرهت صحبته
تفرقت دروبنا ... تركت جيرته
قطعت وده .. كذبت قولته
بلغت في الخصام ذروته
اعود اشتهي حديثه وقصته
اكسر الجدار بيننا . وارفع القناع
أضمه في الصدر بالذراع
في كل لحظة يزيدني امتاع
يجدد الحياة في تاريخنا المضاع
يشدني بروعة الجمال والابداع
كرحلة الضياء في الغروب .. في شراع
تصفق الأمواج حولنا .. ويرقص الشعاع
تحرك المؤشر القديم من زاوية الضياع

قصائد من بريطانيا

١٩٧٥

الدكتور
الزين عباس عماره

قصائد من بريطانيا

دار الثقافة
بيروت

نشـــر وطبـــع
دار الثقـــــافـــة
بيـــروت ـ لبنـــان
١٩٧٥